مجلة الدراسات المستدامة
P-ISSN(Print) : 2663-2284
E-ISSN(online): 2663-7413
السنة (٨) المجلد (٨) العدد (٣) تموز. لسنة ٢٠٢٦م - ١٤٤٨ هـ

الجذور الفكرية للرؤى الغربية عن الإسلام (أصالة القرآن الكريم نموذجاً)

م.د بيداء حيدر علي العبودي
دكتوراه فكر تاريخ إسلامي
الجامعة العراقية / كلية الآداب
Dr.biadaahiader@gmail.com

الملخص

يتناول هذا البحث مناهج بعض الدراسات الغربية التي سعت إلى إرجاع القرآن الكريم إلى أصول يهودية، أو نصرانية او جذور للجاهلية عبر توظيف المنهج التاريخي والمقارن في تحليل النص القرآني وربطه بنصوص سابقة مثل التوراة. او الانجيل بل هناك من ربطه بفترة العصر الجاهلي الذي سبق ظهور الإسلام . وتتمثل الفجوة البحثية في غلبة الطرح النقدي غير المتوازن الذي يركّز على أوجه التشابه ويُغفل الخصوصية البنيوية واللغوية للوحي القرآني.

تناول البحث دعوى التأثر باليهودية ومحاولة ارجاع القران الى أصول توراتية وكذلك سلط الضوء على من ادعى مصدرية القران الكريم الى أصول نصرانية وصابئية وتضمن البحث دراسة الفكر الغربي للقران الكريم وفق النظريات الحديثة مثل نظرية الانسنة وتسلط الضوء على اهم المستشرقين الذين تناولوا ذلك مع مناقشة وتفنيد ادعاءات الفكر الغربي فيما تناوله بخصوص مصدرية القران الكريم مع التركيز على تفكيك هذه الادعاءات وإبراز استقلالية النص القرآني وأصالته، وتصحيح التصورات الشائعة في بعض الكتابات الغربية، والتي تفتقر إلى الحياد المنهجي والدقة العلمية.

الكلمات المفتاحية: (الجذور الفكرية، الرؤى الغربية، الإسلام).

مجلة الدراسات المستدامة
P-ISSN(Print) : 2663-2284
E-ISSN(online): 2663-7413
السنة (٨) المجلد (٨) العدد (٣) تموز. لسنة ٢٠٢٦م - ١٤٤٨ هـ

The intellectual roots of Western views on Islam (the authenticity of the Holy Qur'an as a model)

Instr. Dr. Bidaa Haider Ali Al-Aboudi
PhD in Islamic History/ Islamic Thought
Al- Iraqia University- College of Arts
Dr.biadaahiader@gmail.com

Abstract

This research examines the methodologies of some Western studies that have attempted to trace the Holy Quran back to Jewish, Christian, or pre-Islamic origins by employing historical and comparative methods to analyze the Quranic text and link it to earlier texts such as the Torah or the Gospels. Some have even linked it to the pre-Islamic era. The research gap lies in the prevalence of an unbalanced critical approach that focuses on similarities while neglecting the structural and linguistic distinctiveness of the Quranic revelation. The research addressed the claim of Jewish influence and the attempt to trace the Qur'an back to Torah origins. It also highlighted those who claimed the Qur'an's source was Christian and Sabean origins, as well as the attempt to link the Qur'anic text to the pre-Islamic era. The research included a study of Western thought on the Qur'an according to modern theories such as the theory of humanism, and highlighted the most important orientalists who addressed this, while discussing and refuting the claims of Western thought regarding the source of the Qur'an, with a focus on dismantling these claims and highlighting the independence and originality of the Qur'anic text, and correcting common perceptions in some Western writings, which lack methodological neutrality and scientific accuracy.

Keywords: (Intellectual roots, Western visions, Islam).

تمهيد

تُعدّ دراسة الأسس الفكرية والمنهجية التي انطلق منها الفكر الغربي في تعامله مع التراث الإسلامي، ولا سيما ما يتصل بجوهر العقيدة الإسلامية المتمثل في القرآن الكريم، من القضايا المحورية في حقل الدراسات النقدية المعاصرة. فقد اتجهت طائفة من الباحثين الغربيين إلى مقاربة النص القرآني من منظور يجنح إلى ربطه بأصول خارجية، كالموروثين اليهودي والنصراني مع

مجلة الدراسات المستدامة
P-ISSN(Print) : 2663-2284
E-ISSN(online): 2663-7413
السنة (٨) المجلد (٨) العدد (٣) تموز. لسنة ٢٠٢٦م – ١٤٤٨ هـ

السعي إلى إدراجه ضمن سياقات بشرية تاريخية عبر مفاهيم حديثة مثل مفهوم "الأنسنة" ، بما يُفضي إلى نزع طابعه الإلهي وخصوصيته الروحانية.

ولا يخفى أن كل إنتاج فكري إنما يصدر عن منظومة مرجعية تحكم رؤى صاحبه ومنهجه، سواء اتفق المتلقي معها أم خالفها، إذ إن النصوص لا تنفصل عن خلفياتها المعرفية. وفي هذا الإطار، يمكن الوقوف على بعض كتابات المستشرقين الذين تناولوا مصدرية القران الكريم.

إنَّ القراءة المتأنية لكتابات بعض المستشرقين تكشف لنا امرين أولهما يتمثل في الخلفيات الفكرية لهم والتي اتسمت في كثير من الأحيان بمحاولات إعادة تفسير النص القرآني وفق تصورات مسبقة، وثانيهما منهجهم النقدي الذي يتوسل بالمقارنات التاريخية والدينية لإثبات فرضيات تربط القرآن بمصادر بشرية سابقة. غير أن هذا الطرح لا يخلو من إشكالات معرفية ومنهجية، أبرزها الانتقائية في توظيف الشواهد، وتغليب الفرضيات المسبقة على مقتضيات البحث العلمي الموضوعي.

ومن جهة أخرى، لا يمكن فصل بعض الاتجاهات الاستشراقية عن سياقاتها التاريخية والسياسية الأوسع، إذ تشكّلت في ظل تصورات هيمنت على العقل الغربي منذ عصور الصراع الديني، وأسهمت في تكوين رؤية ترى في الشرق مجالًا خاضعًا للفحص والتأويل من منظور خارجي. وقد انعكس هذا الإطار في كثير من الدراسات التي تعاملت مع الإسلام، حيث غلبت عليها نزعة التشكيك في مصادره الأساسية، وفي مقدمتها القرآن الكريم.

وعلى هذا الأساس، فإن معالجة هذه الأطروحات تقتضي مقاربة علمية نقدية تُبرز استقلالية النص القرآني وأصالته، وتُبيّن الفروق الجوهرية بينه وبين ما يُدّعى من مصادر سابقة، مع الالتزام بالمنهج العلمي الرصين القائم على التحليل الموضوعي، بعيداً عن التعميمات أو الأحكام المسبقة.

ومن هنا تنبع أهمية هذا البحث في إعادة قراءة تلك الادعاءات، وتقويمها في ضوء المعايير العلمية الدقيقة، بما يحفظ للنص القرآني مكانته بوصفه نصاً روحانياً متفردًاً في بنائه ومضمونه.

دعوى التأثر باليهودية

تُعدّ مسألة نسبة القرآن الكريم إلى أصول يهودية من أبرز الإشكاليات التي أثارها بعض الباحثين الغربيين ضمن إطار الدراسات الاستشراقية، حيث سعت هذه المقاربات إلى تفسير النص القرآني بوصفه نتاجاً متأثراً ببيئات دينية سابقة، بدل النظر إليه باعتباره نصاً الهياً مستقلاً في مصدره وبنيته. وقد ارتكزت هذه الأطروحات على جملة من المناهج التي حاولت إعادة قراءة القرآن الكريم في ضوء التراث اليهودي، مع توظيف أدوات نقدية مستمدة من الدراسات الكتابية المقارنة (الذهبي، ١٩٧٨، صفحة ج١،ص٢٢).

ومن بين هذه المناهج، يبرز المنهج التاريخي الذي يعمد إلى ربط مضامين القرآن بسياقات زمنية سابقة، ساعياً إلى تتبع أصول بعض القصص والمفاهيم القرآنية في النصوص اليهودية، كالتوراة، ومن ثم البناء على ذلك لإثبات فرضية الاقتباس أو التأثر. كما يظهر المنهج المقارن بوصفه أداة مركزية في هذا السياق، إذ يعتمد على موازنة النصوص الدينية المختلفة بحثًا عن أوجه التشابه، دون الالتفات الكافي إلى الفروق الجوهرية في البناء العقدي واللغوي والدلالي. ويقوم هذا المنهج على فكرة ان النبي (ص) قد اقتبس العديد من القصص والاحكام من اليهود، لا سيما تلك المتعلقة بالأنبياء وبني إسرائيل وقد ركزوا على أوجه التشابه بين القصص القرآنية مثل قصة النبي ادم ونوح وموسى وقصة النبي يوسف على نبينا وعليهم السلام وبعض الروايات التلمودية معتبرين انها انما تمثل صياغة لروايات توراتية (دراز، ٢٠٠٨، صفحة ٩٢) فتكون بذلك دليلاً على النقل او الاقتباس (ابوشهبة، ١٩٨٨، صفحة ص٤٥)

كما اعتمدوا على وجود مصطلحات مشتركة بين العربية والعبرية معتبرينها دليلاً إضافياً على التأثير المباشر مثل التوراة، السبت، النار، الفرقان، السكينة، فردوس، طور وغيرها كم المصطلحات (التواب، فصول في فقه العربية، ١٩٩٠، صفحة ١٢٠)، في الوقت الذي اكدت فيه الدراسات اللغوية ان هذه المصطلحات كانت متداولة في اللغات السامية المشتركة (التواب، فصول في فقه اللغة العربية ، ١٩٩٠، صفحة ١٤٠)، وقد اعتبر بعض المستشرقين بان البيئة الدينية في الجزيرة العربية والتي كانت تضم جماعات يهودية قد اتاحت للنبي (ص) الاطلاع على التراث اليهودي والذي انعكس حسب زعمهم على القران الكريم (القطان، ٢٠٠٠، صفحة ٣٠)

وقد تبنّى هذا الاتجاه عدد من المستشرقين، من أبرزهم الكاهن البريطاني ويليام سانت كلير تيسدال، الذي سعى في مؤلفاته إلى إرجاع مصادر القرآن إلى خلفيات يهودية ومسيحية، معتمداً على فرضيات مسبقة أكثر من اعتماده على قراءة موضوعية للنص القرآني، مستندا في ذلك على نتاجات سبقه فيها مستشرقون اخرون والذي أشاد بها تيسدال أمثال المستشرق الإنكليزي موير والمستشرق ابراهام جيجر الذي الف كتبا عنوانه ماذا اخذ محمد من اليهودية؟

حيث شن هذا المستشرق حملة تعصب وحقد بادعائه ان النبي الكريم (ص) قد اقتبس القران من اليهودية، وقد اعتمد على عدة أوجه للتشابه في عدة أمور منها القصص الديني، العقائد الاحكام الشرعية، والمصطلحات الدينية بزعمه ان هذه التشابهات تشير الى اعتماد القران الكريم على التراث اليهودي بصورة واضحة (الذهبي، ١٩٧٨، صفحة ج١ ص٣٤).

وتكمن الإشكالية في أن مثل هكذا اسقاطات غالباً ما تنطلق من تصور يُخضع النص القرآني لمعايير خارجية، متجاهلة خصوصيته بوصفه نصاً يتمتع بنسق لغوي وتشريعي وعقدي متفرد ، وفي مقابل ذلك، فإن الدراسة العلمية الرصينة تقتضي التمييز بين الاشتراك في بعض الموضوعات العامة بين الأديان السماوية، وهو أمر تفرضه وحدة المصدر الإلهي في أصل الرسالات، وبين دعوى الاقتباس أو التأثر المباشر، التي تحتاج إلى أدلة منهجية دقيقة تتجاوز مجرد التشابه السطحي ومن هنا، يجب تفكيك تلك المناهج الغربية، وبيان حدودها المعرفية، مع إبراز أصالة القرآن الكريم واستقلاله، بعيدًا عن القراءات التي تحاول ربطه بأصول يهودية على نحو يفتقر إلى الدقة العلمية والحياد المنهجي.

وممن تكلم في مصدرية القران الكريم المستشرق جولد تسهير حيث ذهب الى وجود مفاهيم قرآنية جذورها يهودية مثل النبوة والوحي والقصص التاريخي وعد ذلك دليلاً على التأثر الثقافي الديني (جولدتسهير، د.ت، صفحة ١٨).

كذلك المستشرق ثيودور نولدكة حيث تبنى فكرة التأثير اليهودي في دراسته لتاريخ القران مجادلاً بان بعض الروايات القرآنية تأثرت بروايات يهودية لاحقة ولا سيما المدراش والتلمود (نولدكة، ١٩٩٠، صفحة ٤٥)، كما اكد على ان التشريعات الإسلامية مشابهة للشريعة اليهودية كالصيام

وبعض الاحكام الغذائية (نولدكة، ١٩٩٠، صفحة ٥٢) والقصاص والطهارة وعدوا ان هذه الاحكام قد اقتبست من اليهودية (القطان، ٢٠٠٠، صفحة ١١٠).

وحاول بعض المستشرقين أمثال وليام تيسدال ربط بعض الشرائع الإسلامية بالروايات اليهودية بقوله أن كثيراً من الشعائر الدينية كالحج ومناسكه ، وتعظيم الكعبة، والسعي بين الصفا والمروة، ورمي الجمرات، إنما تمثل انعكاساً لروايات يهودية جرى تبنيها وإعادة صياغتها في البيئة العربية (تيسدال، ٢٠٢٥، صفحة ٤٩) متجاهلين الحقيقة الثابتة المتمثلة في أن هذه الشعائر ترتبط بأصلها الإبراهيمي، الذي يُعدّ جزءاً من الوحي الإلهي السابق للتقاليد اليهودية بصيغتها المتداولة، كما أن الزعم بأن العرب استمدوا هذه الشعائر من اليهود يفتقر إلى السند التاريخي، إذ لم يُثبت أن اليهود مارسوا هذه الشعائر أو ارتبطوا بها ارتباطًا تعبديًا.

حيث اتثبت الدراسات التاريخية أن اليهود على امتداد تاريخهم، لم يعرفوا الحج إلى البيت الحرام، ولم يُنقل عنهم أداء مناسك تشابه ما في الإسلام، بل إن مواسمهم الدينية ارتبطت بأعياد خاصة مثل عيد الفصح، الذي يُخلّد خروج النبي موسى (عليه السلام) من مصر، وعيد الأسابيع (الحصاد)، وعيد المظال، وهي أعياد ذات طابع شعائري مختلف، لا تتضمن طقوس الحج بمعناه الإسلامي (الربيعي، ٢٠١٨، صفحة ٢٤١؛ القحطاني، د.ت، صفحة ٢٣٨)كما أن نصوص العهد القديم لم تحدد شعائر حجٍّ مماثلة، وإنما أشارت إلى مواقيت اجتماع ديني عام، كما في سفر التثنية (١٦: ١٦–١٧).

رغم انه قد ورد في بعض الروايات أن عددًا من الأنبياء (عليهم السلام) أدّوا شعائر الحج، ومن ذلك ما رُوي عن النبي محمد (ص) في وصفه لحجّ أنبياء سابقين، كالنبي موسى ويونس (عليهما السلام) (كأني انظر الى موسى هابطا من الثنية له جوار الى الله بالتلبية وكأني انظر الى يونس بن متي على ناقة حمراء عليه جبة صوف) (مسلم، ١٩٩١، صفحة ١٦٦)وهذا ما يدل على امتداد هذه الشعيرة إلى جذورها الإبراهيمية.

مجلة الدراسات المستدامة
P-ISSN(Print) : 2663-2284
E-ISSN(online): 2663-7413
السنة (٨) المجلد (٨) العدد (٣) تموز. لسنة ٢٠٢٦م - ١٤٤٨ هـ

وإذا كان الأمر كذلك، فإن دعوى اقتباس القرآن الكريم لشعيرة الحج من اليهودية تصبح دعوى تفتقر إلى الأساس الواقعي؛ إذ كيف يُتصوَّر الاقتباس من ممارسة لم تثبت أصلًا في التاريخ اليهودي؟!

والأهم من ذلك، أن وحدة الدين في أصله – بوصفه خضوعًا لله تعالى – لا تعني وحدة الشرائع في تفاصيلها، وهو ما يؤكده قوله تعالى: ﴿وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجاً ﴾ (سورة المائدة ، صفحة الاية ٤٨)وعليه، فإن وجود بعض نقاط الالتقاء بين ما ورد في القرآن الكريم وبعض الروايات السابقة لا يدل على الاقتباس، بل يندرج في إطار وحدة المصدر الإلهي للرسالات، مع احتفاظ كل شريعة بخصوصيتها..

تفنيد دعوى الأصل اليهودي

من المؤكد ان التشابه الذي ذهب اليه بعض المستشرقين بين القران الكريم والتوراة لا يدل على الاقتباس بل على وحدة المصدر الإلهي وعقيدة الهية واحدة (ابوشهبة، ١٩٨٨، صفحة ٧٠). تقتضي وجود قدر من الاشتراك في المبادئ العامة بين الرسالات، كما يؤكد ذلك الإنجيل: «لا تظنوا أني جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء، ما جئت لأنقض بل لأكمل» (الانجيل، صفحة الاصحاح ٥ العدد١٧).

. وعليه، فإن التشابه بين الأديان لا يعني الاقتباس أو التقليد، بل يمثل امتدادًا إصلاحيًا متسلسلًا للرسالات السماوية، يكتمل في رسالة النبي محمد (ص). ومع ذلك، حاول بعض المستشرقي – لا سيما من يتخذون الخلفية اللاهوتية أو الأيديولوجية – لتوظيف أفكارهم واراءهم بعدم أصالة القرآن، أو لتقويض القدسية الإسلامية في نفوس المسلمين، على أمل الترويج لعقائد غير صحيحة أو لتسهيل تشكيكهم في كتابهم (خليل، ١٩٨٥، صفحة ج١ ص١١٦) غير أن هذه الأطروحات تغفل تمامًا الفروق الجوهرية بين القرآن والديانات السابقة من حيث الأسلوب البلاغي، ونظام التشريع، والعمق الروحي للأحكام، والانسجام الداخلي للنص، مما يجعل مزاعم التأثر أو الاقتباس غير موضوعية

كذلك من الاختلافات الجوهرية بين القران الكريم والمصادر اليهودية لاسيما على سبيل المثال لا الحصر التشريع وطبيعة القصص القرآني ومكانة الأنبياء (دراز، ٢٠٠٨، صفحة ١١٥) وكذلك نقد القران الكريم لبني إسرائيل في مواضع عدة وهذا مالم يوجد في المصادر اليهودية فضلاً عن ان اراء أولئك المستشرقين تفتقر الى الدليل التاريخي لأثبات ان النبي (ص) قد تعلم من اليهود او اقتبس منهم لا سيما ان الوجود اليهودي في الجزيرة العربية لم يكن مؤثرا جدا فيها (القطان، ٢٠٠٠، صفحة ٦٠) لكنهم اعتمدوا منهج التأثر والتأثير الذي سعوا من خلاله إلى تفسير نشأة النص القرآني والتشريع الإسلامي بوصفهما امتدادًا لتأثيرات يهودية ومسيحية وغيرها (الكعبي، ٢٠٢٢، الصفحات ٧٠-٧٧) ومن أبرز المستشرقين الذين تبنوا هذا المنهج المستشرق لويس لامنس الذي حاول تفسير مراحل من حياة النبي محمد (ص) ورسالته على أنها إعادة صياغة لأفكار يهودية ومسيحية. (الديب، ١٩٩١، صفحة ٥٩) .

وقد انطلق هذا الطرح الذي اعتمده بعض المستشرقين من فرضية مسبقة مفادها أن أي نص ديني في منطقة الجزيرة العربية لا بد أن يكون متأثراً بما سبقه من الأديان التوحيدية، متغافلين عن طبيعة القرآن المستقلة بوصفه وحيًا إلهياً يحمل نظامًا معرفياً وتشريعياً متفرداً ، وطبيعة الرسالة الإسلامية التي اتسمت بالعالمية والشمولية ، كل ذلك يؤكد بان القران الكريم يقدم رسالة مستقلة تماما ومصححاً لما سبقه من الشرائع السماوية التي طالها الانحراف المتعمد (ابوشهبة، ١٩٨٨، صفحة ٩٥)

دعوى ارجاع القران الى أصول نصرانية

كان انطلاق هذه الدعوى منبثقا من نظرية البيئة الدينية التي استند اليها اليهود حيث اعتمد النصارى عليها بصورة مباشرة مدعين ان النبي محمد (ص) كان مطلعا على تعاليمهم من خلال رحلاته التجارية واحتكاكه ببعض الرهبان (دراز، ٢٠٠٨، صفحة ٧٤) ومعتمدين على تفسير نشأة الإسلام تفسيرا تاريخياً ، ومن صور هذه الدعوى القول بأن القران ما هو الا انعكاساً للعقائد النصرانية كذلك صورة القصص القرآني المتعلق بالسيدة العذراء وعيسى عليهم السلام وافتراضهم انها مأخوذة من الاناجيل إضافة الى ادعاءهم بتفسير بعض المصطلحات القرآنية على انها ذات

مجلة الدراسات المستدامة
P-ISSN(Print) : 2663-2284
E-ISSN(online): 2663-7413
السنة (٨) المجلد (٨) العدد (٣) تموز. لسنة ٢٠٢٦م - ١٤٤٨ هـ

اصل نصراني مستدلين بالتشابه اللغوي او الموضوعي بين بعض المصطلحات الدينية (السباعي، د.ت، صفحة ١٣٢) ، ومما ساعد على نشوء هذه الدعوى اعتماد بعض المستشرقين على الروايات الضعيفة مثل قصة لقاء النبي الاكرم (ص) بالراهب بحيرا وعلاقته بورقه بن نوفل مفترضين انها دليل على استنباط النبي (ص) لتلك التعاليم منهم (القطان، ٢٠٠٠، صفحة ٢٨).

ومن ابرز من قال بهذه الدعوى المستشرق مونتكمري واط الذي اكد ان القران الكريم مستوحي تعاليمه من النصرانية لا سيما القضايا المتعلقة بالنبوة واليوم الاخر (مونتكمري، ١٩٧٦، صفحة ٥٢) ، وذهب المستشرق الإنكليزي آرثر جيفري الى ان بعض المصطلحات القرآنية اصلها نصراني ومقتبسة من التراث النصراني (جيفري، ١٩٨٧، صفحة ١٧).

وحاول المستشرق ريتشارد بيل اثبات دعوته بقصة النبي عيسى عليه السلام والانجيل وبانها تحمل طابعا نصرانيا واضحا كما افترض تلقي الرسول الكريم (ص) معلومات دينية من مصادر نصرانية متفرقة (بيل، ١٩٨٦، صفحة ٤٥)

كذلك من المسيتشرقين البارزين في تأصيل القران للجذور النصرانية المستشرق الفرنسي تور اندريه حيث رأى ان ان بعض الأفكار القرآنية حول النبوة والوحي لها اصل وصلة بالنصرانية وكذلك حاول ربط المفاهيم القرآنية بالنسق التاريخي للنصرانية (اندريه، ١٩٧٠، صفحة ٦٤).

اما نولدكة فيعد اول من تناول مصدرية القران الكريم وسعى يثبت تأثر القرآن باليهودية والنصرانية معللا ذلك بارتباط البيئة الدينية للجزيرة العربية بالمجاميع النصرانية (نولدكة، ١٩٩٠، صفحة ١٢).

اهم مواضع الاختلاف بين القران الكريم والنصرانية

ولتفنيد هذه الدعوى لابد من الوقوف على اهم أوجه الاختلاف بين القران الكريم والنصرانية منها مصدر التشريع حيث يقدم القران الكريم منظومة متكاملة تشمل الاحكام الشرعية والاجتماعية بينما الاناجيل على تعددها لا تتضمن تشريعا تفصيليا بل تركز على الجوانب الروحية والأخلاقية (زهرة، ١٩٨٤، صفحة ١٤١) ، الامر الاخر مفهوم التوحيد وطبيعة الاله، الثابت ان القران الكريم يقوم على مبدا التوحيد الخالص ويرفض عقيدة التثليث (دراز، ٢٠٠٨، صفحة ١١٢)، كذلك مسألة

الوحي والكتاب المقدس فنرى ان القران الكريم يؤكد على انه منزل ومحفوظ من التحريف ويقر بان الكتب التي سبقته قد طالها التحريف (القطان، ٢٠٠٠، صفحة ٧٢) بينما الاناجيل كُتبت من روايات تلاميذ النبي عيسى عليه السلام بعد ان رفع الى السماء لذلك نرى اختلافات عدة في تفاصيلها (الهندي، ١٩٨٩، صفحة ١٩٨) ،أيضا قضية الصلب نجد ان القران الكريم ينفي حادثة الصلب ويؤكد ان الله سبحانه وتعالى رفعه اليه وان ما حدث كان شبهة للناس (القطان، ٢٠٠٠، صفحة ٦٧) بينما تعد حادثة الصلب في النصرانية أساسا لعقيدتهم (الهندي، ١٩٨٩، صفحة ٨٨ ج٢) ، كذلك الاختلاف في طبيعة المسيح عليه السلام حيث يقدم القران عيسى عليه السلام بانه نبي ورسولا من عند الله مخلوقا كسائر الناس لكنه أُيد بالمعجزات وليس الها ولا ابنا لله (زهرة، ١٩٨٤، صفحة ٩٤) ، اما في النصرانية فيعد المسيح ابن الله بل ينظر اليه على انه اله وهذا الاختلاف وحده ينفي ما يتناوله المستشرقون من ادعاءات (شلبي، ١٩٩٨، صفحة ١٢١)

تقسيم المجتمع المسيحي إلى سادة وعبيد ونقد الادعاءات الاستشراقية

تُعدّ قضية الرق من أبرز القضايا التي تكشف عن الفروق الجوهرية بين الإسلام والديانات السابقة، وعلى رأسها النصرانية . فقد أقرّ القديسون والفلاسفة النصارى منذ العصور الوسطى، بأن الطبيعة خلقت بعض الناس ليكونوا عبيدًا، وأن هذا الوضع الاجتماعي لا يتناقض مع التعاليم الدينية أو الإيمان بالله. وقد جمع القديس والفيلسوف توماس الأكويني بين الرؤية الفلسفية ورؤية رجال الدين، مستندًا إلى أفكار أرسطو، مؤكداً أن بعض الناس خُلقوا بفطرة طبيعية ليكونوا في منزلة أدنى، وأن قبول الإنسان لهذا الوضع في حياته الدنيوية ليس أمرًا مخالفًا للإيمان (العقاد، ١٩٣٨، صفحة ١٩).

وقد أظهرت الدراسات أن النصرانية لم تحرّض على رفض الرق أو مناهضته، لا من منظور سياسي ولا اقتصادي، ولم تشجع العبيد على التمرد أو المطالبة بالحرية، ولم تُشر إلى مضار العبودية أو قساوتها، بل أقرت بحقوق كل من السيد والعبد، وحافظت على التوازن بين الطرفين وفق ما أقرته النصوص الدينية، دون تغيير جوهري في العلاقة بينهما (الخيون، ٢٠٠٣)، هذه المعطيات توضح أن النصر انية سمحت باستمرار نظام الرق، وأفرغت الأمر من أي حرج

أخلاقي، بل زكّته بعض الفلاسفة الدينيين، في حين أن الإسلام وضع أسساً تشريعية تهدف إلى تخفيف وطأة الرق تدريجيًا، وحثّ على العتق والتحرير، وحماية حقوق الرقيق في المجتمع.

وهنا، يظهر التحيّز الواضح لدى المستشرق ويليام سانت كلير تيسدال، الذي كان أميناً للجمعية التبشيرية بكنيسة إنجلترا في أصفهان، إذ اتخذ موقفًا انتقائياً ، موجّهاً النقد للإسلام بسبب الرق، بينما يتجاهل النقد نفسه تجاه النصرانية التي كانت تتبنى الموقف ذاته، هذا السلوك يُظهر ازدواجية المعايير ويطرح علامات استفهام حول مصداقية منهجه العلمي، خاصة أنه تجاهل دراسة مقارنة وموضوعية لقضية الرق في الديانات المختلفة، مكتفيًا بمحاولة التشهير بالإسلام دون مراعاة الحقائق التاريخية (تيسدال، ٢٠٢٥، صفحة ٤٦).

ومن الجدير بالذكر أن المستشرقين كأنهم تغاضوا عن الواقع الأوروبي في زمنهم، حيث كان المجتمع الأوروبي نفسه منقسمًا بين سادة وعبيد، وكان يتم استعباد الأفارقة واصطيادهم من القارة الإفريقية للعمل في أوروبا وأمريكا، وتعرض كثيرون منهم للموت أثناء النقل أو بسبب ظروف العمل القاسية، دون أي تدخل ديني أو أخلاقي يحميهم. بينما الإسلام جاء ليضع أسساً إصلاحية واضحة للرق، من خلال إقرار حقوق الرقيق، وتوفير وسائل للتحرير، وربط العتق بالكفارات، وحثّ المجتمع على حسن معاملة العبيد ودمجهم في البنية الاجتماعية، بما يعكس نهجًا أخلاقيًا وقانونيًا متقدمًا لم تعرفه المسيحية في ذلك الزمن.

وعليه فإن تصوير الإسلام على أنه مسؤول عن الرق أو أن القرآن الكريم يشجّع العبودية، في حين يُغفل عن موقف النصرانية من هذه القضية، يمثل تحيزاً صارخاً وغياباً للموضوعية العلمية وانحرافاً عن منهج الأديان المقارن الذي يُفترض أن يكون الأساس في مثل هذه الدراسات، إن قراءة متأنية مقارنة تظهر أن التشريع الإسلامي قدّم نموذجاً فريداً في معالجة قضية الرق من حيث الحد من مظاهره، وضمان حقوق العبيد، وفتح أبواب العتق، مؤكداً بذلك أصالة الشريعة واستقلالها التشريعي، واهتمامها بالبعد الإنساني والأخلاقي، بعيدًا عن أي محاولات لتمويه الحقائق التاريخية.

دعوى التأثر بالصابئة

تُعدّ دعوى تأثر القرآن الكريم بالديانات السابقة – ومنها الصابئة – من المسارات التي سلكها بعض المستشرقين في محاولاتهم تفسير مصدر النص القرآني، حيث لم تخلُ دراساتهم من السعي إلى إرجاع مضامينه إلى روافد دينية سابقة، ولا سيما ما يرتبط باليهودية والنصرانية ، بل امتدّ ذلك عند بعضهم إلى الديانات الأخرى (العدوي، ٢٠١٥) غير أن هذا الطرح في كثير من صوره يقوم على تعميمات غير دقيقة، وافتقار إلى التمييز بين الاشتراك في بعض المظاهر العامة، وبين دعوى التأثر المباشر أو الاقتباس.

ومن أبرز من تبنّى هذا الاتجاه المستشرق ويليام سانت كلير تيسدال، الذي حاول الجمع بين فرضيتين: الأولى (الخيون، ٢٠٠٣، صفحة ١٢٠) ، ربط القرآن بتأثيرات يهودية ومسيحية، والثانية إرجاع بعض مضامينه إلى ما عُرف بالديانات الوضعية، كالصابئة وغيرها، وقد أقام تيسدال طرحه على قاعدة مفادها أن وجود جماعات دينية في الجزيرة العربية تمتلك تراثاً دينياً سابقاً يقتضي بالضرورة تأثر النبي محمد (ص) بها، وهي قاعدة تفتقر إلى البرهان المنهجي، إذ تقوم على مجرد الافتراض دون إقامة دليل علمي حاسم.

وفي هذا السياق، سعى تيسدال إلى الربط بين بعض الشعائر القرآنية – وخاصة الصلاة – وبين الممارسات الصابئة، زاعماً وجود تشابه في عدد الصلوات وأوقاتها وهيئتها (تيسدال، ٢٠٢٥، صفحة ٤٦)، غير أن هذا الزعم ينهار عند الفحص العلمي، إذ إن المعطيات التاريخية تشير إلى اختلاف جوهري بين الصلاتين من حيث العدد والكيفية والوظيفة التعبدية، فالصلاة في الإسلام نظام تعبدي متكامل ذو أبعاد روحية وتشريعية محددة، في حين أن ما نُقل عن الصابئة يختلف في طبيعته وتوقيته وهيئته، مما ينفي دعوى التطابق أو الاقتباس.

كما أن تعميم فكرة التأثر لمجرد وجود تشابه ظاهري يُعدّ خللاً منهجياً لأن الاشتراك في بعض الممارسات أو المفاهيم لا يستلزم بالضرورة علاقة أخذٍ وتأثر، بل قد يكون مردّه إلى وحدة الأصل الإلهي للرسالات، أو إلى اشتراك إنساني عام في بعض أنماط التدين. ومن هنا، فإن محاولة ربط

القرآن الكريم بالصابئة – إلى جانب ربطه باليهودية والنصرانية – تندرج ضمن مساعٍ أوسع لتجريد النص القرآني من خصوصيته الروحانية، وإخضاعه لقراءات تاريخية قاصرة.

وبالتالي فإن هذه الدعوى لاتصمد أمام النقد العلمي الموضوعي، إذ تفتقر إلى الدليل القطعي، وتعتمد على المقارنات السطحية، متجاهلة الفروق العميقة في البنية العقدية والتشريعية. ويظل القرآن الكريم، في ضوء ذلك، نصًا مستقلاً في مصدره وبنائه، متجاوزاً حدود التأثر التاريخي، ومؤكداً أصالته بوصفه وحياً إلهياً خالصاً.

التأثير الجاهلي على القرآن الكريم ونقد المزاعم الاستشراقية

تُظهر الدراسات التاريخية أن جزيرة العرب قبل الإسلام كانت بيئةً معقدة دينياً واجتماعيًاً غلب عليها تعدد المعتقدات والعبادات والتي تختلف باختلاف المناطق والقبائل، ففي شمال وغرب الجزيرة العربية فقد كانت القبائل العربية تعبد الشمس والقمر والزهرة وقد تأثرت هذه الممارسات بالديانات المجاورة، مثل الصابئة وبقايا الحضارة الكلدانية. فقد عبد سكان اليمن القمر، والشمس، والزهرة، بما يعكس ارتباطهم بالتراث البابلي: القمر الإله "سين"، الشمس الإله "شمش"، والزهرة الإلهة "عشتار" (الناظوري، ١٩٩٨، صفحة ١٢٩) ، وهذه الممارسات لم تكن مجرد عبادة رمزية، بل شكلت جزءًا من النظم الاجتماعية والثقافية للقبائل، وأثرت في تنظيم حياتهم اليومية وعاداتهم الاقتصادية والسياسية (علي، ١٩٩٣، صفحة ١١٨ ،ج١) .

وقد حاول المستشرق ويليام سانت كلير تيسدال أن يوظف هذه البيئة الدينية في تفسير القرآن الكريم على أنه نتاج تأثر مباشر بالديانات السابقة، وبالأخص التوراة، مدعياً أن غالبية القبائل العربية تعود أصولها إلى قحطان، أو إسماعيل، أو أبناء إبراهيم، وأن القرآن لم يكن إلا انعكاساً لهذه التأثيرات القديمة (تيسدال، ٢٠٢٥، الصفحات ٢٧-٢٦) وقد رأى أن الممارسات الوثنية، مثل عبادة الكواكب، تمثل رابطاً بين الثقافة الجاهلية والشرائع السابقة، ما أعطاه ذريعة للادعاء بأن الإسلام ما هو إلا استمرار للديانات السماوية السابقة، وليس وحياً مستقلاً.

غير أن هذا الطرح يتجاهل حقيقة أساسية، وهي أن القرآن الكريم جاء مصوناً عن التقليد والسطو الفكري، وأن أي تشابه بين القرآن وبعض الممارسات الجاهلية لا يشير إلى الاقتباس، بل يعكس

عملية إصلاحية تحويلية. فقد جاء الإسلام ليحوّل الممارسات الوثنية إلى عبادة توحيدية خالصة، ويحلّ مكان الخرافات والشركيات نظاماً تشريعياً وروحيًاً متكاملاً ، يضمن للإنسان توجيه حياته وفق مرجعية إلهية مستقلة، بعيداً عن التقليد أو النسخ من أي دين سابق ، ويُظهر تحليل كتابات تيسدال تناقضاً واضحاً إذ من جهة، يشير إلى أن غالبية سكان الجزيرة العربية ينحدرون من نسل إبراهيم وإسماعيل، ومن جهة أخرى ينكر على قريش، بما فيها قبيلة النبي محمد (ص)، أن تكون منتسبة إلى إبراهيم، مدعياً أن نسبهم مزوّر أو غير صحيح (تيسدال، ٢٠٢٥، صفحة ٥٩). هذا التناقض يكشف عن انحياز منهجي صارخ، وعدم التزام بالموضوعية العلمية، بينما القرآن نفسه يؤكد صلة العرب بالأنبياء، ويثبت نسب قريش إلى إبراهيم من خلال إسماعيل.

إن هذا السياق التاريخي والاجتماعي يُبرز أصالة القرآن واستقلاليته عن أي تأثير جاهلي أو وثني، ويؤكد أن محاولات المستشرقين لربط نصوصه بالديانات السابقة قائمة على فرضيات متحيزة مسبقاً، لا على دراسات دقيقة موضوعية. كما يظهر أن القرآن قد جاء لتصحيح وتحويل الممارسات الجاهلية، وليس للانسياق خلفها، مؤكداً بذلك الاستقلال التشريعي والبعد الأخلاقي والروحي للنص القرآني.

شعيرة الحج والحجر الأسود: أصالة واستقلالية عن التأثر الجاهلي

يمثل الحج، باعتباره أحد أركان الإسلام الخمسة، أسمى تعبير عن التوحيد والعبادة الجماعية، ويجمع بين البعد الروحي والأخلاقي والاجتماعي للمسلمين منذ عهد النبي محمد (ص) وحتى حاضر الأمة الإسلامية. ومن أبرز الرموز المرتبطة بشعيرة الحج، الحجر الأسود، الذي يحظى بتقدير خاص لدى المسلمين، ويشكل محورًا للطاعة والركوع عند الطواف حول الكعبة.

وتؤكد النصوص النبوية أن الحجر الأسود أصلُه سماوي؛ فقد روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي (ص)قال: «نزل الحجر الأسود وهو أشد بياضًا من اللبن فسودته خطايا بني آدم» (حنبل، ٢٠٠١، صفحة ٢٧٨٦)هذا الأصل السماوي يوضح أن الحجر الأسود ليس مجرد حجر عادي، بل هو رمز إلهي يتجلى فيه البعد الأيماني والروحي للعبادة، ويدل على القداسة التي منحها الله للبيت الحرام منذ نشأته.

حاول بعض المستشرقين، ومنهم من اعتمد على المقارنات التاريخية، ربط شعائر الحج بالممارسات العربية القديمة، مستندين إلى ملاحظات محدودة مثل قصّ الشعر عند الحجاج. فهيرودوت ذكر أن العرب في زمنه كانوا يحلقون الشعر على صدوغهم ويتركون بقية الشعر على الجانبين (الناظوري، ١٩٩٨، صفحة ٣٨٠)، واستند بعض المستشرقين إلى هذا، ليفسروا طقوس الإسلام على أنها نسخة عن العادات الوثنية، أو أنها امتداد للثقافة العربية الجاهلية.

غير أن هذا التفسير يتجاهل الحقيقة التاريخية والدينية الجوهرية لان البيت الحرام كان موضع عبادة منذ أيام سيدنا إبراهيم وابنه إسماعيل، والشعائر التي وصلت إلى العرب قبل الإسلام لم تكن مجرد ممارسات شكلية أو تقليدية، بل كانت مرتبطة بالوحي الإلهي والإرشادات السماوية. فالإسلام لم يأتِ ليقلّد العرب الجاهليين، بل جاء ليجمع بين الشعائر القديمة الموصولة بالرسل السابقين، ويحوّلها إلى نظام عبادي موحّد، يعبّر عن التوحيد الخالص، ويؤكد على الطاعة لله وحده، مع المحافظة على الروحانية والبعد الأخلاقي لهذه الشعائر.

وبالنسبة لموضوع حلق الشعر والتلبية أثناء الحج، فإن أي شبه بين هذه الممارسات وبعض العادات العربية السابقة لا يدل على التأثر أو التقليد، بل يعكس استمرارية طبيعية لبعض العادات البشرية التي تم توجيهها وتطويرها لتتناسب مع الهدف الأيماني للحج. وهذه الممارسات بما فيها الطواف، والسعي بين الصفا والمروة، والحلق أو التقصير في الشعر، كلها رموز تعبدية، تحمل معاني روحية وإيمانية عميقة، وتربط بين الحاضر والماضي، وبين الإنسان وخالقه، دون أن تخضع لأي تأثير جاهلي أو ديني سابق.

إن هذه التحليلات توضح أن شعيرة الحج بكل رموزها وممارساتها، بما في ذلك الحجر الأسود والتلبية وحلق الشعر، تحافظ على أصالتها واستقلاليتها عن أي تأثير سابق، وتعكس وحدة الرسالة الإلهية التي جاء بها جميع الأنبياء، وما يراه بعض المستشرقين من تشابه في التفاصيل الشكلية ليس سوى استمرار طبيعي للأنماط الإنسانية التي تم توجيهها عبر الوحي لتؤدي إلى الغاية العليا وهي العبادة الخالصة لله تعالى، لا نسخ أو تقليد للنصوص الوثنية أو الديانات السابقة.

ومن هنا يظهر جلياً أن القرآن الكريم يتمتع بأصالة وخصوصية لا تتأثر بأي نصوص شعرية سابقة، وأن ما يحاول بعض المستشرقين تصويره على أنه "اقتباس" أو "سرقة" لا أساس له، بل إن كل الادعاءات تتحطم أمام المعايير العلمية الدقيقة والتحقيق التاريخي المنهجي الذي يعتمد على تتبع الأصول، وتمييز الأصل من النسب الكاذب، وإظهار الفروق الجوهرية بين القرآن والنصوص الشعرية الجاهلية.

فرية ارجاع القران الى أصول بوذية وزرادشتية

اتجه بعض المستشرقين الى تفسير الإسلام ولا سيما القران الكريم وفق نظرية الاحتكاك الثقافي والديني في الجزيرة العربية وخاصة مع بلاد فارس القريبة منها بحكم الموقع الجغرافي والتي كانت تدين بالزرادشتية وقسم منها يدين بالبوذية وكان هؤلاء المستشرقون قد اتخذوا من التجارة مع هذه البلاد ذريعة لاتجاههم الفكري المغرض بزعمهم انتقال الأسس الدينية والثقافية وانتشارها في الجزيرة العربية من خلالها (زقزوق، د.ت، صفحة ١٠٤)

وقد تأثر هذا الاتجاه الفكري لدى الغربيين بالدراسات المقارنة التي ظهرت في القرن التاسع عشر محاولين إيجاد جذور مشتركة للأديان وافترضوا ان القرآن الكريم استلهم عناصره من الديانات السابقة والتي هي أصلا ليست بديانات، مركزين على التشابه بين مفهوم الصراع بين الخير والشر وبعض التصورات الآخروية وتناول ذلك الطرح المستشرق الفرنسي تور اندريه (اندريه، ١٩٧٠، صفحة ٨٣) ومصطلحات الجنة والنار والملائكة مثل المستشرق كليمان هوار ، مؤكدا ان هذا التأثر حدث نتيجة العلاقات التجارية بين بلاد فارس والجزيرة العربية (كليمان، تاريخ العرب، ١٩٨٧، صفحة ٩٧) وأيضا مفهومي الزهد والتأمل امثال المستشرق الإنكليزي رينولد نيكلسون الذي ذهب ان هذه الأفكار مستوحاة من البوذية (نيكلسون، ٢٠٠٢، صفحة ٤٤)، كذلك اعتمد المستشرق الفرد فون كريمر على مفهوم الجزاء والعقاب حيث أشار الى انها قريبة من التصورات الزرادشتية محاولا تفسير ذلك انها بفعل التثر بالديانات الشرقية (كريمر، ١٩٧٦، صفحة ٥٨)، وسلط المستشرق الإنكليزي جيمس دارمستتر دراسته على الزرادشتية محاولا الربط بين بعض

مفاهيمها وبعض المصطلحات القرآنية لا سيما ما يتعلق بالغيب والبعث جازماً ان هناك تأثير ديني سابق (دارمستتر، د.ت، صفحة ١١٢) .

ورغم محاولاتهم الا انه لا توجد ادلة تاريخية على وجود اتصال مباشر بين الرسول الكريم (ص) مع الزرادشتية او البوذية والتان كانتا محصورتين في مناطق معينة ولم يكن لهما انتشار فعلي في الجزيرة العربية (الذهبي، ١٩٧٨، صفحة ١٠٣ ، ج١).

الانسنة والقرآن الكريم

حاول الفكر الغربي تفسير ربط بعض مفاهيم القران الكريم ببعض االفرضيات الفلسفية مثل فرضية الأنسنة او الانسانوية والتي ظهرت في أوربا خلال عصر النهضة ساعين الى قراءة النص القرآني وتركيزه على الانسان بوصفه محور الخطاب الديني وأول من ذهب الى هذه الفرضية المستشرق مونتكمري واط ، حيث درس القران في اطار تاريخي انساني اذ رأى ان النص القرآني يرتبط بالمجتمع العربي في القرن السابع الميلادي (مونتكمري، ١٩٧٦، صفحة ٣٨) وركز المستشرق الفرنسي ريجيس بلاشير على ان تفسير بعض الاحكام القرآنية تنسجم مع الاتجاه الانساني لكنها مرتبطة بالبيئة العربية فقط (بلاشير، ١٩٧٤، صفحة ٦٤) ، كذلك المستشرق الإنكليزي جون وانسبر الذي ذهب الى ان القران تشكل في سياق تاريخي وثقافي خاص وانه نتاج تطور ديني داخل بيئة إنسانية محددة ، وقد اعتمد هذا المستشرق على المناهج النقدية الغربية التي تتعامل مع الاحكام الدينية على انها احكام تاريخية (واسنبر، ٢٠٠٠، صفحة ٥١).

وتناولت المستشرقة انجليكا نويفرت قراءة القران على انه خطابا موجها الى مجتمع تاريخي محدد وركزت على البعد الإنساني معتبرة ان القران تشكل ضمن سياق ثقافي (نويفرت، ٢٠٠٣، صفحة ٧١) وخضع كل ما ذهب اليه أولئك المستشرقون لترسيخ فكرة تفسير الاحكام القرآنية وفق نظريات الفلسفة الحديثة (اركون، ١٩٦٧، صفحة ٥٥)

وقامت فكرة الانسنة الغربية على مبدا تحرير الانسان من المرجعيات الدينية المطلقة وقد حاول بعض المستشرقين تطبيق هذه الفكرة على القران الكريم فذهبوا الى ان الخطاب القرآني مرتبط بسياق تاريخي محدد وانهم يمكنهم إعادة تفسير احكام القران وفق القيم الإنسانية الحديثة مثل

المساواة المطلقة الحرية وغيرها (اركون، نزعة الانسنة في الفكر العربي، ١٩٩٠، صفحة ٣٣) كذلك حاول بعض المستشرقين تفسير بعض المفاهيم العقدية مثل الوحي على انه تجربة روحية إنسانية وان المعجزة تعبير رمزي ، وسعوا الى ربط الاحكام المتعلقة بالأسرة والمعاملات على انها احكام وقتية وليست احكاما نهائية (المسيري، ٢٠٠١، صفحة ١٧٣ ، ج ١) .

واتبع الغربيين منهج تحليلي في اعتمادهم على نظرية القراءة الإنسانية للقران بأخضاعها الى القراءة التأويلية واللسانية بوصف القران على انه نص مفتوح على قراءات متعددة (الرحمن، ١٩٩٨، صفحة ١١٢).

متناسين ان منهجية فكرتهم تلك نشأت في سياق تاريخي خاص بتجربة الكنيسة في أوربا بينما القران الكريم رغم انه يتفق معهم الى حد ما بما يتعلق بالإنسان ونصحه وارشاده الا انه يقوم على مفهوم الوحي الإلهي المطلق وهو ما يجعل نقل فرضيتهم تلك الى الدراسات القرآنية امر مستحيل فقد حاول الغرب في مجمل دراساته للتاريخ الإسلامي ولا سيما القران الكريم ان يقدم رؤية معينة للنص القرآني تقوم على التشكيك بأصالته وزرع مفهوم نظريته الحديثة المتعلقة بالانسنة الا ان هذه المحاولات اسفرت عن نتائج مريرة، فقد انعكس هذا التوجه على كتابات بعض المفكرين والكتاب في العالم الإسلامي ومن ابرزهم محمد شحرور ومحمد عابد الجابري وهشام جعيط وقد اثرت كتاباتهم تلك على قسم كبير من الشباب العربي بأعتبارها نوعاً من التجديد والحداثة في معالجة النص القرآني متجاهلين أسباب النزول ولغة القران العربية الغنية بالمفردات ،واسراره المكنونة التي لا يقدر على ادراكها الا المتبحر في علومه.

وفي المقابل جاء من كتب التراث ما يبرز اعجاز القرآن وعمق علومه مثل كتاب دلائل الاعجاز لعبد القاهر الجرجاني والذي سلط الضوء على اللغة العربية واسرار البيان والبلاغة في القرآن الكريم ، وغيرها من الكتب التي تصدت لتلك المحاولات

الخاتمة

يتضح من خلال هذا البحث أن النظرة الغربية إلى مصدرية القرآن الكريم تميزت بطابع مزدوج، إذ حاول بعض المستشرقين نسب أجزاء منه إلى مصادر بشرية، سواء من الموروث الديني لليهودية

والمسيحية من الشعر الجاهلي، او ، أو حتى إلى طقوس الصابئة. وقد حاول هؤلاء المستشرقون تفسير التشابه الظاهري بين بعض المفاهيم القرآنية والموروث الثقافي العربي أو الديني على أنه اقتباس أو استلهام بشري، متجاهلين الفرق الجوهري بين السياق القرآني والبيئة التاريخية للنصوص الأخرى.

غير أن دراسة النصوص القرآنية من منظور لغوي، وفكري، وتاريخي، تكشف عن أصالة القرآن وفرادته في كل جانب من جوانب معانيه وبلاغته. فالقرآن يتميز باللغة الرفيعة والدقة التعبيرية، ويجمع بين الإعجاز البياني والفكري والروحي، بطريقة لا يمكن لأي نص بشري عادي محاكاتها أو تقليدها. كما أن محاولات نسب القرآن للشعر الجاهلي، أو لقصص الأنبياء في التوراة، لم تثبت دلالتها التاريخية، إذ ثبت أن القرآن يحمل معانٍ عميقة ومقاصد سامية تتجاوز قدرة البشر على اختلاقها، ويعالج قضايا الإنسان والكون والحياة بطريقة متكاملة ومنهجية لم تعرفها أي نصوص سابقة.

وإذا أضفنا إلى ذلك البعد الأخلاقي والإنساني للقرآن الكريم، نجد أنه يرتقي بالإنسان إلى مستوى من المسؤولية والوعي والمعرفة لم يكن موجودًا في النصوص الأخرى. فالقرآن لم يقتصر على تقديم سرد تاريخي أو شعري، بل وضع أسساً للأخلاق والعدالة والتقوى، وبيّن للإنسان دوره ومسؤوليته في الحياة. وهذا ما يجعل القرآن فريداً في شموليته، فهو كتاب تاريخي وروحي وفكري في آن واحد، مصدره وحي إلهي خالص، لا يشتبه في أصالته.

من هذا المنطلق، يتضح أن المزاعم الغربية حول التأثر بالديانات السابقة أو الشعر الجاهلي لم تنجح في تقويض مكانة القرآن وفرادته، بل أكدت الدراسات النقدية الحديثة أن القرآن يتجاوز كل ما عرفته البشرية قبل نزوله وبعده. وأيضاً، فإن هذه المحاولات أظهرت أهمية رد العلماء والمفكرين على مثل هذه المزاعم بالتحليل العلمي المنهجي، والاعتماد على الأدلة النصية واللغوية والتاريخية، بعيدًا عن الانحياز الثقافي أو الديني.

إن أصالة القرآن الكريم وفرادته ليست مجرد مسألة أكاديمية، بل هي واقع حيّ يتجلى في حياة المسلمين على مر القرون، حيث ظل القرآن مصدر هداية وروحانية، ومعيارًا للحق والعدل، مما

يؤكد أنه كتاب سماوي خالد لايعلو عليه أي تأثير بشري سابق أو لاحق. لذلك، تبقى الحاجة ماسة إلى تعزيز الوعي بين الباحثين والقراء بمكانة القرآن وفرادته وأصالته، والرد العلمي المستند إلى المنهجية على جميع الادعاءات التي تحاول التشكيك في مصدره الإلهي.

ويمكن القول إن القرآن الكريم ليس مجرد نص ديني أو كتاب تاريخي، بل هو معجزة لغوية وفكرية وأخلاقية شاملة، أصالته تتجلى في جميع أبعاده، وفرادته تثبت للباحث والقارئ مدى عظمة هذا النص السماوي، مما يحتم على كل مسلم وكل باحث تقدير هذا الواقع والعمل على نشر الوعي به، ومواجهة كل ما يحاول التشكيك في أصالته وصدق مصدره الإلهي.

كذلك يتضح من دراسة أعمال المستشرقين، ان هناك ازدواجية في المعايير عند المستشرقين: وأن الغرب يميل إلى انتقاد الإسلام في مسائل محددة، مثل الرق والشعائر الدينية، بينما يغض الطرف عن ممارسات مماثلة في الديانة اليهودية والمسيحية. هذا يظهر وجود تحيز مسبق أكثر منه تحليلاً موضوعياً مما يضعف مصداقية النظرة الغربية لدى البعض ويشير إلى أن النقد ليس علميًا بقدر ما هو ديني أو ثقافي، ويزعم بعض المستشرقين أن بعض شعائر الإسلام مثل الحج مستمدة من الموروثات العربية الوثنية أو اليهودية، متجاهلين أن البيت الحرام والشعائر المرتبطة به لها جذور إلهية عبر الأنبياء، بدءًا من إبراهيم وابنه إسماعيل، وأن استمرارية هذه الشعائر قبل ظهور الإسلام تدل على أصالتها وارتباطها بالوحي، لا بالاقتباس البشري.

واستمرت دعاوى الغربين الى العصور الحديثة محاولين وصف اخضاع القران الكريم الى نظريات فلسفية حديثة مثل نظرية الأنسنة، بتسليط الضوء على حضور الإنسان في النصوص القرآنية مع محاولة تقليص البعد الإلهي، لربطه بالقيم الإنسانية وحدها. بينما القرآن نفسه يوازن بين تكريم الإنسان واعتباره محورًا في الخطاب الديني، وبين خضوعه للقدرة الإلهية، وهو ما لم تدركه بعض الدراسات الغربية أو لم تمنحها أهمية كافية. ورغم محاولات المستشرقين في التشكيك بمصدرية القرآن، فإن الأدلة التاريخية، العلمية، واللغوية تؤكد أصالة النص القرآني وفرادته.

توصيات

١. تعزيز المنهج النقدي الإسلامي الموضوعي:

ينبغي على الباحثين العرب التركيز على التحليل الموضوعي لمزاعم المستشرقين، مع استخدام الأدلة التاريخية واللغوية والنصية، دون الانجرار وراء أي افتراضات مسبقة أو تبني شبهات لم تثبت.

٢. التوثيق والتحقق من المصادر:

يجب التأكيد على الرجوع إلى المصادر الأصلية، سواء كانت قرآنية، حديثية، أو تاريخية، قبل استنتاج أي رأي، خصوصًا عند دراسة مزاعم الاقتباس أو الانتحال. كما ينبغي التحقق من نسب الأشعار والكتابات قبل الاستشهاد بها، لتفادي الأخطاء التاريخية التي وقع فيها بعض المستشرقين.

٣. تعليم النقد المقارن بعقلانية:

ينبغي تطوير برامج تعليمية في الجامعات تتناول الاستشراق والمنهج المقارن بين الأديان والثقافات، مع إبراز نقاط القوة والضعف في الدراسات الغربية، لتثقيف الطلاب حول ازدواجية المعايير وتحليل السياق التاريخي والثقافي.

٤. ترسيخ أصالة النص القرآني في الدراسات الحديثة

يجب على الباحثين المعاصرين تقديم الدراسات التي تبرز أصالة القرآن الكريم وفرادته في السياق التاريخي والثقافي، مع الرد على المزاعم الغربية بطريقة علمية وموثقة، دون الدخول في جدل عقيم أو مبالغات.

٥. إعادة قراءة التراث الإسلامي في ضوء السياق الإنساني

ينبغي التعامل مع القرآن الكريم والفكر الإسلامي بطريقة توازن بين البعد الإنساني والأبعاد الروحية الإلهية، لتفادي إسقاط الأفكار الغربية المستحدثة على النصوص الأصلية، وضمان نقل صحيح للفكر الإسلامي إلى الأجيال الجديدة.

٦. التوعية الثقافية والفكرية

ينصح بإنتاج محتوى علمي مبسط وموثق يوضح العلاقة بين النص القرآني والموروث العربي، والرد على الشبهات المتداولة في الدراسات الغربية، لتوعية المجتمع العربي والمسلم بالحقيقة التاريخية والنصية، والحد من التأثيرات الفكرية المستوردة

المصادر

- القرآن الكريم
- الانجيل

١- بن حنبل، احمد (ت١٤١هـ) مسند أحمد، تحقيق شعيب الأرنؤوط ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ٢٠٠١.

٢- مسلم، ابي الحسن مسلم بن الحجاج (ت ٢٦١هـ) صحيح مسلم، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٩١.

المراجع

١- اركون ، محمد ،الفكر الإسلامي (١٩٦٧) ، قراءة علمية ، ترجمة هاشم صالح ، مركز الانماء القومي ، بيروت.

٢- نزعة الانسنة في الفكر العربي (١٩٩٠) ، دار الساقي ، بيروت.

٣- اندريه ، تور(١٩٧٠)، محمد والقرآن ، ترجمة عبد الرحمن بدوي ، وكالة المطبوعات ، الكويت.

٤- بيل ، ريتشارد (١٩٨٦)، مدخل الى القران ، ترجمة فهمي هويدي ، دار المعارف ، القاهرة.

٥- بلاشير ، ريجي (١٩٤٧)، مدخل الى القران ، ترجمة رضا سعيد ، دار طلاس ، دمشق.

٦- عبد التواب ، رمضان (١٩٩٠) ، فصول في فقه العربية ، مكتبة الخانجي ، القاهرة.

٧- تيسدال، ويليام سانت كلير (٢٠٢٥) ، المصادر الأصلية للقرآن، ترجمة عبج الجواد سيد ، العتبة العباسية.

٨- جولد تسهير ، اغناس(د..ت) العقيدة والشريعة ، ترجمة محمد يوسف موسى واخرون ، دار الكتب الحديثة ، مصر.

٩- جيفري ، ارثر (١٩٨٧)، المفردات الأجنبية في القرآن ، ترجمة عبد الله إسماعيل ، مكتبة الخانجي ، القاهرة.

١٠- خليل ، عماد الدين (د..ت) المستشرقون والسيرة النبوية، ضمن مناهج المستشرقين، ج ١، ص ١١٦

١١- الخيون، رشيد(٢٠٠٣)، الأديان والمذاهب بالعراق، منشورات الجمل، بغداد.

١٢- الخيون ، رشيد ، عبادة، عبد الحميد أفندي بن بكر أفندي (٢٠١١)، المندائيون أو الصابئة الأقدمون، دار مدارك للنشر.

١٣- دارمستتر ، جيمس الزرادشتية ، ترجمة احمد محمود ،(د..ت) المركز القومي للترجمة ، القاهرة ، ص١١٢

١٤- دراز ، محمد عبدالله (٢٠٠٨)، النبأ العظيم ، دار القلم ، الكويت.

١٥- الديب، عبد العظيم (١٩٩١)، المنهج في كتابات الغربيين، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ، قطر.

١٦- الذهبي ، محمد حسين (١٩٧٨) ، التفسير والمفسرون ، مكتبة وهبة ، القاهرة.

١٧- الربيعي، نبيل (٢٠١٨)، تاريخ يهود الخليج، دار الرافدين للطباعة ، بغداد.

١٨- عبد الرحمن، طه (١٩٩٨)، روح الحداثة ،المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء.
١٩- زقزوق، محمود حمدي (د..ت) ، الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري ، دار المعارف ، القاهرة.
٢٠- أبو زهرة ، محمد (١٩٨٤)، محاضرات في النصرانية ، الرئاسة العامة للبحوث العلمية ، الرياض.
٢١- السباعي ، مصطفى (د..ت) ، الاستشراق والمستشرقون، المكتب الإسلامي ، بيروت.
٢٢- شلبي ، احمد (١٩٩٨)، مقارنة الأديان ، مكتبة النهضة ، القاهرة.
٢٣- أبو شهبة ، محمد (١٩٨٨)، الاسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير، دار العلم ،القاهرة.
٢٤- العدوي، أحمد(٢٠١٥)، تاريخ الدراسات المندائية وأبرز المستجدات في دراسة أصول الصابئة المندائية ومصادرها، مجلة مطور للدراسات التاريخية ، العدد الأول ، العدد الأول.
٢٥- العقاد، عباس محمود (١٩٣٨)، حقائق الإسلام واباطيل خصومه، شركة نهضة مصر للطباعة، القاهرة.
٢٦- علي، جواد (١٩٩٣)، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، جامعة بغداد ، بغداد ، ج١.
٢٧- القحطاني، عبد الله بن ناصر(د..ت)، العبادة في الديانة اليهودية ، رسالة دكتوراه بقسم العقيدة بجامعة ام القرى غير مطبوعة .
٢٨- القطان ، مناع (٢٠٠٠)، مباحث في علوم القران ، مكتبة المعارف للنشر ، الرياض.
٢٩- كريمر، الفرد فون (١٩٧٦) ، تاريخ الشرق الإسلامي ، ترجمة محمد عبد الهادي أبو ريدة ، طبع لجنة التأليف والترجمة ، القاهرة.
٣٠- المسيري ، عبد الوهاب (٢٠٠١)، العلمانية الجزئية والعلمانية الشاملة ، دار الشروق ، القاهرة.
٣١- نصرالله، جواد كاظم وشهيد كريم محمد الكعبي (١٩٩٨)، دراسات ورؤى استشراقية في التاريخ الإسلامي.
٣٢- االناضوري، رشيد (١٩٩٨)، المدخل في التطور التاريخي للفكر الديني، دار النهضة العربية ، القاهرة.
٣٣- نولدكة (١٩٩٠)، تاريخ القران ، ترجمة جورج تامر ، دار الجمل ، بيروت.
٣٤- نويفرت، انجليكا(٢٠٠٣)، القرآن في سياقه التاريخي، ترجمة احمد الشرقاوي، المركز القومي للترجمة، القاهرة.
٣٥- نيكلسون ، رينولد (٢٠٠٢)، تاريخ الادب العربي ،ترجمة عبد الرحمن بدوي ، دار النهضة العربية ، القاهرة.
٣٦- هوار، كليمان (١٩٩٧)، تاريخ العرب، ترجمة عادل زعيتر، دار المعارف ، القاهرة .
٣٧- الهندي، رحمت الله (١٩٨٩)، اظهار الحق، الإدارة العامة للطبع والنشر، الرياض.
٣٨- واط ، مونتكمري (١٩٧٦)، محمد في مكة، ترجمة شعبان بركات، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة.
٣٩- وانسبرو، جون (٢٠٠٠)، لدراسات القرآنية، ترجمة احمد محمود، المركز القومي للترجمة، القاهرة.